IHYA
Uluslararası İslam Araştırmaları Dergisi

رواية أبي حيان التوحيدي حول هُوية إخْوان الصَّفا رؤية نقدية

د. أحمد عبد المنعم العَدوي*

ملخص البحث

لَيْسَ هُناك في تَاريخ المصنَّفات الفِكْريَّة العَربيَّة قضيَّةٌ أعْقَد من قضيَّة كِتَاب "رسَائِل إخْوان الصَّفا" ذلك أنَّ شَخْصيَّات مُؤلِّفيه وهَويَّاتِهم المذْهبيَّة وغَايَاتهم ما تَزال غَامِضة ومُسْتَعْصِية على التَّفْسير، فقَد اخْتَلف البَاحثُون في تَاريخ جمَاعة إخْوان الصَّفا وهويَّتهم، وانْقَسمُوا في ذلِك شِيَعًا ومَذاهِبًا، بل واخْتَلفُوا أيْضًا في مَعْنى الاسْم ودلالَتهُ. وتحاول هذه الورقة إلقاء الضوء على هوية مصنفي رسائل إخوان الصفا عبر تحليل رواية أبي حيان التوحيدي عن كُتاب الرَّسَائل نقدياً، وكذا مُناقشة أراء الباحثين حول هوية هؤلاء الكتاب مثل نسبتهم إلى المعتزلة، أو صابئة حران أو الشيعة الإسماعيلية أو غير ذلك من الفرق والمذاهب المختلفة التي ادعى الباحثون أن إخوان الصفا ينتمون إليها.

Abstract

There is no issue, in the history of the Arabic intellectual works, more complex than the issue of the book "Rasaeal Ikhwan al-Safa". That the personalities of its authors, their identities and doctrinally still ambiguous and need more explanation. So, scholars have differed among themselves in the history of Ikhwan al-Safa and their identity. They are differed as well in the significance and meaning of the name. This paper attempts to shed light on the identity of Ikhwan al-Safa through structure and analysis of the report of Abu Hayyan Al-Tawhıdi, as well as to discuss the scholars views concerning the identity of these writers, proportion to Mu'tazili, or Sabians of Harran, or Ismaili Shia or any other doctrines which scholars claimed that Ikhwan al-Safa were belonging to.

مدخل

لَيْسَ هُناك في تَاريخ المصنَّفات الفِكْريَّة العَربيَّة قضيَّةٌ أعْقَد من قضيَّة كِتَاب "رسَائِل إخْوان الصَّفا"؛ ذلك أنَّ شَخْصيَّات مُؤلِّفيه وهَويَّاتِهم المذْهبيَّة وغَايَاتهم ما تَزال غَامِضة ومُسْتَعْصِية على التَّفْسير. وتُعْنى هذه الورقة بمناقشة رواية أبي حيان التوحيدي (المتوفى 414هـ/1023م) حول هوية إخوان الصفا، وما إذا كانت معلومات أبي حيان عن إخوان الصفا دقيقة، أم أن الصوابَ قد جانبه في تحديد هوية كتاب تلك الرسائل. وهل هناك شبهة تضليل متعمد وقع من جانب أبي حيان التوحيدي للوزير البويهي أبي عبد الله العارض حول هوية هؤلاء الكتاب أم لا؟. كما تُعنى أيضا بمناقشة تحليلية نقدية لآراء الباحثين الذي تصدوا لتحديد هوية كتاب تلك الرسائل.

2–1 رواية أبي حيان التوحيدي حول إخوان الصفا

اخْتَلف البَاحثُون في تَاريخ جمَاعة إخْوان الصَّفا وهويَّتهم، وانْقَسمُوا في ذلِك شِيَعًا ومَذاهِبًا، بل واخْتَلفُوا أيْضًا في مَعْنى الاسْم ودِلالَتهُ، وربَّما كانَ أوْثَق تِلك الآرَاء المتشعِّبة هُو رَأي المسْتشرق جُولدزيهر Ignaz Goldziher والذي لا يخْلُو من الغَرابة والطَّرافَة في آنٍ واحِد، لكنَّه في

* Çanakkale Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

الوَقت ذاتِه لا يَفْتقرُ إلى الدَّليل، فقد نوَّه إلى أنَّ الاسْم نفْسهُ – أعْني إخْوان الصَّفا – يظْهرُ في كِتاب كَليلة ودِمْنة وتحْديدًا في قصَّة "الحَمَامة المطَوَّقَة"[1] مُشبَّعًا بالرَّمْزيَّة حيثُ تَتبادل الطُّيُور والحَيوانَات فيهَا المعْرفة فتَنْجُو جَميعًا من شَبكَة الصَّيَّاد[2]، وهَذا المعْنى الرَّمْزي نفْسهُ أشَار إليْهِ إخْوان الصَّفَا في غَيْر مَوضِع من رسَائِلهم[3]، كمَا أنَّهُم كانُوا يُشِيرون كثيرًا إلى كِتاب كَليلة ودِمْنة، ويقْتَبسُون منهُ بعضَ الحِكَم والرَّمْزيَّات التي يضُمُّها بين دَفَّتيْه[54].

أمَّا عن مُصنِّفي تِلك الرَّسَائل؛ فإنَّ أقْدَم خَبر يصُلُنا عن تِلك الرَّسَائل ومُصنِّفِيها يَأتي في ثَنَايا كِتَاب الإمْتَاع والمؤانسَة لأبي حيَّان التَّوْحِيدي [6] (المتوفَّ بعْد عَام 400هـ/1009م)، والذي ذَكر في مَعْرض إجَابته عن سُؤال للوَزير أبي عبْد الله العَارِض وزير صِمْصام الدَّولة البُويهي عن مُفكِّر وفَيْلسُوف يُدْعى زيْدُ بن رِفَاعَة وعنْ مذْهبِه الغَريب الذي يَدعُو لهُ، فأجَابه التَّوحِيدي بما نصه:

"وقال أيضا (أي الوزير) حدّثني عن شيء هو أهمّ من هذا لي وأخْطَر على بالي، إني لا أزال أسمع من **زيد بن رفاعة** قولاً ومذهباً لا عهد لي به، وكنايةً عما لا أحقّه. ..... فقال: فعلَى هذا ما مذهبه؟

قلت: لا ينسب إلى شيء، ولا يعرف برهط، لجيشانه بكلّ شيء، وغليانه في كل باب. ولاختلاف ما يبدو من بسطة تبيانه، وسطوته بلسانه، وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصّناعة، منهم **أبو سليمان محمد بن معشر البستيّ، ويعرف بالمقدسيّ، وأبو الحسن علي بن هارون الزّنجانيّ، وأبو أحمد المهرجانيّ والعوقيّ** وغيرهم، فصحبهم وخدمهم، **وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة، وتصافت بالصّداقة، واجتمعت على القدس والطّهارة والنصيحة**، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنّهم قرّبوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله والمصير إلى جنّته، وذلك أنهم قالوا: الشريعة قد دنّست بالجهالات، واختلطت بالضّلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، وذلك لأنّها حاوية للحكمة الاعتقاديّة، والمصلحة الاجتهاديّة.

---

(1) Ignaz goldziher: Üper die Benennung der İchwan Al-Safa, Der Islam 1910. Vol I. PP 22-26. وانظُر بابَ الحمَامة المطوَّقَة من كِتاب كَليلة ودِمْنة للفيْلسُوف الهِنْدي بيْدبَا، نقلهُ إلى العَربيَّة عبْد الله بن المقفَّع، بُولاق 1937، ص177. قارن أيضًا: Ian Richard Netton: Muslim Neoplatonists: An Introduction to the Thought of the Brethren of Purity, New York 2002, P. 5., Godefroid de Callatay: Ikhwan al-Safa': A Brotherhood of Idealists on the Fringe of Orthodox Islam, London 2012. PP 15-16

(2) دي بُور: إخْوان الصَّفا، مقَال بدائِرة المَعارف الإسْلاميَّة، تَرجمَة إبْراهِيم زَكي خُورشِيد وآخَرين، الطَّبعَة الثَّانية، القَاهِرة 1969 ج2، ص454.

(3) رسَائل إخْوان الصَّفا، إعَادة نَشْر بالأُوفْسِت لنَشْرة دائِرة المعَارف العُثْمانيَّة بحيْدَر آبَاد الدِّكن، منْشُورات الهيئة العامَّة لقُصُور الثَّقافَة، القَاهِرة 1996. ج1، ص43؛ ج4، ص18.

4

(5) المصْدر نفسه، ج2، ص124.

(6) أبو الخيْر زيد بن رِفَاعة الهَاشِمي، أحَد كبَار الفَلاسِفة بالبَصْرة، لا نَعْرف عن حيَاته الكَثير، لكنَّ الخَطِيب البَغْدادي يذْكُره ويَنْسِب إليه الكَذب والوَضْع في الحَديث، كمَا ينْفي عنهُ أصْله الهَاشِمي، انظُر:- تَاريخ بغْداد، تحقِيق بشَّار عوَّاد مَعْرُوف، بيرُوت 2001. ج9، ص459، وقد سَلِم من آثَاره كتَاب "أرْبعُون حديثًا في المَواعظ والأخْلاق" وما يَزال مخطُوطًا بدار الكُتب المِصريَّة بالمكتبة التَّيمُورية برقم 243/1 حَديث تيمُور، وكتَاب الأرْبعِين في أحَاديث النَّبي ﷺ، [وأحْسبهُ الكِتاب نفْسه المتقدِّم ذِكْره]، وهُو مخطُوط بالظَّاهرية بدِمشق [مكْتبة الأسَد الآن] برقم 1236 حَديث، وكِتاب "إصْلاح جَوامِع المَنْطق لابن السِّكيت" وطبع بحيْدر آبَاد الدِّكن 1354هـ/1935م، وكتاب الأمْثَال، وطُبع أيْضًا بحيْدر آبَاد الدِّكن عام 1358هـ/1939م.

وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال، **وصنّفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة: علميّها وعمليّها، وأفردوا لها فهرستاً وسمّوها رسائل إخوان الصّفا وخلّان الوفاء، وكتموا أسماءهم، وبثّوها في الورّاقين، ولقّنوها الناس، وادّعوا أنّهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ وطلب رضوانه** ليخلّصوا الناس من الآراء الفاسدة التي تضرّ النفوس، والعقائد الخبيثة التي تضرّ أصحابها، والأفعال المذمومة الّتي يشقى بها أهلها، وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدّينيّة والأمثال الشرعيّة والحروف المحتملة والطّرق الموهمة.

فقال: هل رأيت هذه الرسائل؟ قلت: قد رأيت جملة منها، وهي مبثوثة من كلّ فنّ نتفاً بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات، وقد غرق الصّواب فيها لغلبة الخطأ عليها.

وحملت عدّة منها إلى شيخنا أبي سليمان المنطقيّ السّجستانيّ وعرضتها عليه ونظر فيها أياما واختبرها طويلا، ثم ردّها عليّ وقال: تعبوا وما أغنوا، ونصبوا وما أجدوا، وحاموا وما وردوا، وغنّوا وما أطربوا، ونسجوا فهلهلوا، ومشطوا ففلفوا، ظنّوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع، ظنّوا أنهم يمكنهم أن يدسّوا الفلسفة– التي هي علم النّجوم والأفلاك والمجسطي والمقادير وآثار الطّبيعة، والموسيقي التي هي معرفة النّغم والإيقاعات والنّقرات والأوزان، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكمّيّات والكيفيّات– في الشريعة، وأن يضمّوا الشريعة للفلسفة"[7].

وعليه؛ فزيدُ بن رفَاعة – وفقًا للتوحيدي – يرى أنَّ الشَّريعَة قد تدَنَّسَت بالجَهالات، واخْتَلطت بالضَّلالات، وأنَّ السَّبيل لتَطْهِيرها هُو بالفَلْسَفة، وأنَّه كوَّن بالاشْتراك معَ أبي سُلَيْمَان مُحَمَّد بن مَعْشَر البُسْتِي والمعْرُوف بالمقْدِسي[8]، وأبي الحَسن عَليّ بن هَارُون الزَّنْجَاني[9]، وأبي أحْمَد المهْرجَانِي[10]، ورَجلٌ آخَر يُدْعَى بالعَوَقِي[11] أخَويَّة سِريَّة، وأطلَقُوا عليْها اسْم **إخْوان الصَّفا وخِلاَّن الوَفَا**، وأنَّهم كتَبُوا رَسَائِلهم التي نسَبُوها للجَماعَة

---

[7] أبو حيَّان التَّوحِيدي: الإمْتَاع والمُؤانسَة، تحقِيق أحمَد أمِين؛ أحمَد الزَّين، بيروت د.ت ج2، ص5؛ قارن أيْضًا للمُؤلّف نفْسه:- المُقَابسات، باعْتِناء حَسَن السَّنْدُوبي، الكُوَيْت 1992، ص46.

[8] لم تَأت كُتب التَّراجم على ذِكْر له، لكنَّ الشَّهرسْتاني يذكُره باسْمه وكُنْيته كمَا عِند أبي حيَّان التَّوحيدي "أبو سُليمَان مُحمَّد بن مَعْشر المَقْدسي"، ولَم يذكُر عنهُ شيئًا اللهُم إلا أنَّه من فَلاسِفة الإسْلام، ومِن طبقَة المُتأخِّرين منْهُم، انظر:- الملل والنحل، تحقِيق محُمَّد سيِّد كِيلاني، بيرُوت 1982، ج2، ص158.

[9] لا ذِكر للزَّنْجَاني هذا في المصَادر، وزَنْجَان هذه التي يُنْسَب إلَيْهَا بلْدة كَبيرة تقَع قُرْب أذْرَبيْجَان، ياقُوت الحَموي: مُعجم البلدان، تحقيق فَريد عبد العَزيز الجِنْدي، بيرُوت 1990، ج3، ص171، لكنَّ الملاحظ أنَّ نِسْبته وردَت في إحْدى النُّسخ الخطيَّة لكتاب الإمْتَاع والمُؤانسَة "الرَّيْحَاني"، الإمْتاع والمؤانسة، ج2، ص5، حاشِية1، لكن التَّوحيدي يعُود في مَوْضع آخَر ويصِفهُ بالقَاضِي صَاحب المذْهب، الإمْتاع والمُؤانسَة، ج2، ص157، ويعْتقد فُؤاد مَعْصُوم أنَّ الإشَارة للمَذهب في حَديث التَّوحيدي هي إشَارة مُباشِرة لمذهب إخْوان الصَّفا، انظُر:- إخْوان الصَّفا؛ فلسفتهم وغايتهم، دمشق 1998، ص57. واعتقِد أنَّه مُحقّ بدليل أنَّ قِصَّة اليَهُودي والمجُوسي التي يسْتقِيها عنه التَّوحيدي في هذا المَوْضع موجُودة بنصِّها حرْفيًّا في رسَائل إخْوان الصَّفا.

[10] هُناك اخْتلافات بيِّنة في المصَادر في رَسْم اسْم هذا الرَّجُل، فمُحقِّقا الإمْتاع والمُؤانَسَة يقُولان بأنَّ كِلتَا النُّسخَتين الخطِّيتين المعْتمدتين في تحقِيق نصِّ الإمْتاع والمُؤانسة قد ورَد الاسْم فيهَا هكَذا "المهْرَجوني"، وصحَّح المحقِّقان - أحمَد أمِين وأحمد الزَّين - الاسْم إلى "المهْرجَاني" بدُون سنَد، وذلك ظنًّا منهُما أنَّه منسُوب إلى مَهْرجَان إحْدى أعْمال أسْفراييِن، الإمْتاع والمُؤانسَة، ج2، ص5، حاشِية2، إلا أنَّ البَيْهقي يُورد اسْمه هكَذا: "أبُو أحْمَد النَّهْرجَوري"، تتمَّة صِوان الحِكْمة، لاهُور 1351هـ، ص11، وغالبًا ما كَانَت الصِّيغة الأخِيرة هي الأصَح، فقد وَرَد رسْم الاسْم نفسه كمَا رسَمهُ البيْهَقي في مُعْجم الأُدبَاء لياقُوت الحمَوي، والذي وصَفهُ بأنَّه كانَ قويًّا في الفَلسَفة وعلُوم الأوائِل، مُتوسِّطًا في علُوم العربيَّة، ومَا يذْكُره ياقُوت عنهُ ينْطبق إلى حدٍّ بعِيد على من يذكُره التَّوحيدي، فهُو من أهْل البَصْرة، وخَدم جَلال الدَّولة البُوهِي، وتُوفِّي عام 403هـ/1012م، مُعْجم الأُدبَاء، تحقِيق إحْسَان عبَّاس، بيروت 1993، ج1، ص ص523-524، وعلى هَذا فمن المُرجَّح بشدَّة أن يكُون هو نفسُه صَاحبنَا عُضْو جمَاعة إخْوان الصَّفا، وذلك على الرَّغم من أنَّ ياقُوتًا لم يذكُر شيئًا عن عَلاقِته بإخْوان الصَّفا.

[11] العَوَقِي منسُوبٌ إلى عَوَقَة، وهي محَلَّة بالبَصْرة، ياقُوت الحَموي: مُعجم البِلدان، ج4، ص190. وهُو الوحيد من بين من يُشْتبه بهم في أنَّهم أصْحَاب رسَائل إخْوان الصَّفا

نفْسهَا، فيمَا كتمُوا أسْماءَهم، ثم بثُّوهَا في أسْواق الورَّاقِين بالبصرة[12] فانْتشَرت بين النَّاس.

2-2 رواية أبي حيان التوحيدي – تحليل نقدي

واقِع الأمْر أنَّ التَّوْحِيدي لمْ يكُن يقْصِد الحَديثَ عَن إخْوان الصَّفا مُباشَرة وإنَّما جَاء حَديثهُ عنْهُم في سِياق ردِّه على سُؤالٍ عَارِض من الوَزير في الليلة السابعة عشرة من مجموع الليالي التي تسامرا فيها، ورَغم أنَّ هَذا بحدِّ ذاتِه قد يُضْفي مِصْداقيَّةً على رِواية التَّوحِيدي – لا سيَّما إذا أخَذنا في الاعْتِبار أنَّ التَّوْحِيدي لهُ خِبْرته العَميقَة بالمؤلَّفات المتداولَة ومُصنِّفِيها بأسْواق الورَّاقين لكوْنهُ ورَّاقًا؛ بَل أنه ورَّق لزَيْد بن رفَاعَة نفْسهُ ونَسَخ لهُ بعضَ مُؤلَّفاته[13] – كمَا أنَّ التَّمَعُّن في رِوايَته لا يشِي بسَببٍ معقُول يُمْكن من خِلالِه اتِّهام التَّوحِيدي بالكَذب العَمْد، ومَع ذلك كُلّه فإنَّ البَاحِثين لم ينظروا بعَيْن الارْتِياح كثِيرًا إلى رِواية التَّوْحِيدي، وذلِك لأنَّ تِلك الرَّسَائل الفِكْريَّة الغَنيَّة تُنْسب إلى جمَاعة من غيْر المعْرُوفين لنَا على الإطْلاق، وهُم الذين أشَار إليْهم التَّوحِيدي، ومن ثَم لا نَعْرفُ شَيئًا يُذْكر عن خَلفيَّاتِهم الاجْتماعيَّة والفِكريَّة والمذهبيَّة، ولَو كَان أحَدُهم أو بعْضُهم ذا مَكانَةٍ عِلميَّةٍ مَرْمُوقَة، أوْ لو توفَّرت لنَا بعْض المعلُومات الدَّقِيقة والمؤْثُوقة عنْهُم فلرُبَّمَا اخْتلفَت النَّظْرةُ إلى الأمْر جُمْلةً وتفْصِيلاً[14].

ومَع ما تقدَّم فإنَّ نتَائج الدِّراسَات التي حَاولت رَصْد توقِيت ظهُور الرَّسَائل بحدِّ ذاتِها تُضْفي الكَثير من المِصْداقيَّة على رِواية التَّوْحِيدي، فالمسْتشرق لُويس مَاسِينيون Louis Massignon سبَق وأنْ أثْبَت عمَليًّا عوْدة تِلك الرَّسَائل إلى أجْواء القَرن الرَّابع الهِجْري/العَاشِر الميلادِي، فقد لاحَظ بالرَّسَائل أشْعَارًا تَخُصُّ ابن الرُّومِي (المتوفَّى283هـ/896م)، كمَا لاحظَ أيْضًا أنَّ تعْرِيف إخْوان الصَّفا لحِسَاب جيْب المثلَّثات مأخُوذٌ عن البتَّانِي الفَلكي (المتوفَّى317هـ/929م)[15].

وواصَل فُؤاد مَعْصُوم ما بَدأه مَاسينيُون، ووفَّق إلى حدٍّ بعيد في التَّدليل علَى أنَّ تِلك الرَّسَائل قد دُوِّنَت في النِّصْف الثَّاني مِن القَرْن الرَّابع الهِجْري، وأهمُّ النِّقاط التي ارتكز عليها معصوم لتأريخ رسائل إخوان الصفا حَديث ذِكْر كتاب الرسائل **لأبي أحْمد الكيَّال** ذلك العَالم الرِّياضِي الشَّغُوف بالأرْقَام، والمعْروف أنَّ الكيَّال تُوفِّي عام 313هـ/925م، وإشَارتهم العَارضَة إلى كَحْل الخُلفاء من بني العبَّاس وحبْسهم، ومن المعرُوف أن **القَاهر بالله** كان أوَّل من سُمل من الخُلفاء في الإسْلام وتم هذا عام 322هـ/933م، وإشَارتهم إلى واقِعة حدثَت **للفَارابي** دون النَّص عليه بالاسْم، والفَارابي تُوفِّي عام 334هـ/945م، وإشَارتهم إلى الأشَاعرة وبأْسِهم، والإمَام **الأشْعري** تُوفِّي عام 330هـ/941م، وإشَارتهم إلى نفَاق البعْض واسْتتاره

=

ممَّن ترجَم لهُم ابن النَّديم، ولسُوء الحظِّ فقَد ترك ابن النَّديم فَراغات تحت اسْمه وتآليفه في مُسوَّدة كتَابه عَلى أمَل أنْ يَسْتوفي ذِكْره لكنَّه لم يفْعَل، غير أنَّه لا يدعُ لنا مجَالاً للشَّك في أنَّه هُو نفْسه من عنَاه التَّوحيدي بقَوله:- "العَوَقِي من أهلِ البَصْرة، في زمَاننا هذا، واسْمهُ [موضع بياض في الأصل]، وله من الكُتب [موضع بياض في الأصل]. الفِهرست، حقَّقَه وقابَله على أُصُوله أيمَن فُؤاد سيِّد، لنْدَن 2009، ج2، ق1، ص206. على أنَّ المُلاحظ أن البَيْهقي يُترجِم لرجُل يُدْعى أبَا الحَسن عَلي بن رَامسَاس العَوَقِي ويُلقِّبه بالحَكيم، ويَنْسبُ له رسَالة في تفْسِير المَوجُودات، وعلَّق المُحقِّق للنَّص بالحَاشية بقوله: "وورَد في بعضِ النُّسخ أنَّه من أصْحَاب إخْوان الصَّفا، تتمَّة صِوان الحِكْمة، ص82.

[12] يقول كل من م. شريف خان وم. أنور سليم أنه كان لإخوان الصفا فرعًا ببغداد زمن التأسيس قرابة عام 373هـ، ولست أدري من أين جاءا بهذا القول، انظر:- M. Sharif Khan; M Anwar Saleem: Muslim Philosophy and Philosophers, New Delhi 1994, p 37.

[13] التَّوحيدي: الإمْتَاع والمُؤانَسة، ج2، ص4.

[14] MacDonald: development of Moslim theology, New York 1926, P. 168.

[15] Louis Massignon: Sur la date de la "Rasa'el Ikwan Al-Safa", Der Islam, Vol. 4, 1913, P. 324

بالتَّشيُّع ليحظُوا بعَطْف العلويِّين، ويعتقد معصُوم أنَّ المقصُود بالعلويِّين هُم **بنُو بُويْه**، وكان الحلُّ والعَقد بأيديهم، وقبل ذلك لم يكُن للشِّيعة ظهر يحْميهم[16].

ويبدو أن **ابن تَيْميَة** (المتوفى 728هـ/1327م) كان أول من لاحظ تلك الإشارات والدلائل التاريخية الواردة بالرسائل. وعليه فقد كان أول من تصدى لتأريخ الرسائل بالنصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فقال بأنَّ تِلك الرَّسَائِل قد صَدرت في عَصْر دَوْلة بني بُويْه بعْد المِائَة الثَّالثة للهِجْرة وقريبًا من زَمَن بنَاء القَاهِرة[17]. وبناء على ما سبق نَسْتطِيعُ القَول بأنَّ جمَاعة إخْوان الصَّفا قد تَأسَّست فِعْليًّا في بدَايَات النِّصف الثَّاني من القَرن الرَّابع الهِجْري/العَاشِر الميلادي، واسْتَغْرق تَأليفُ تلك الرَّسَائل عدَّة سَنوات، فيمَ بَدأت بالتَّدفُّق على أسْواق الوَرَّاقِين قُبيْل الرُّبع الأخِير من القَرن نفْسِه[18].

3– مذاهب الباحثين المعاصرين في مسألة هُوية إخوان الصفا

3–1 القائلون بنسبة رسائل إخوان الصفا إلى الفلاسفة الأندلسيين

مَع ذلِك فقَد لجَأ الباحثُون – الذين لم يطْمئنُّوا بالكُليَّة إلى رِواية التَّوحِيدي[19] – إلى الرَّجْم بالغَيْب. فمِنْهُم من نَسب الرَّسائل برُمَّتها إلى الفَلاسِفة الأنْدلُسيِّين الذين رحلُوا إلى الشَّرق، كمَسْلمة المجْرِيطِي، والذي يقَال أنَّه أمْلاهَا على تَلامِذته ومُريديه عقِب عوْدته من المشْرق إلى الأنْدلُس، وقد اسْتدلَّ هؤلاء على ذلك بأنَّ المجْريطي كان يُلقَّب بالحَكيم، مُنبِّهًا في الوقْت ذاتِه على عبَارة "قَال الحَكيم" التي تكثُر في الرَّسَائل[20]. لكنَّ الدِّراسة النَّقديَّة لتِلك الرَّسَائل تكَاد تُثْبت أنَّ هذه الرَّسَائل برُمَّتها هي نتَاجُ عمَل فَريق وليْس فردًا واحدًا، فهُنَاك اخْتلافَاتٍ أُسْلوبيَّة عَديدة، وهُناك أيْضًا تنَاقُضاتٍ – حادَّة أحيانًا – في بعْض ما تحْتويه من الأفْكَار[21]، وعَلى ذلك فمِن السَّذاجَة الاعْتقَاد بأنَّ تلك الرَّسائل من تأْليف فردٍ واحدٍ، بل هِي على الأرْجَح من تصْنيف فَريقٍ من المؤلِّفِين، صنَّف كُلٌّ منهُم فيمَا يُحْسِن من العُلوم والفنُون.

---

[16] وهُناك عدَّة نقَاط أخرى نصَّ عليها معْصُوم قد لا تَرقى إلى درَجة الأدلَّة، للتفصيل:- فؤاد معصُوم: إخْوان الصَّفا، فلْسَفتهم وغَايَتهم، ص ص57-63.

[17] بُغية المُرتَاد في الرَّد على المُتفَلْسِفَة والقَرامِطَة والبَاطنيَّة، القَاهرة د.ت، ص59.

[18] من الغَريب أن يُغْفل ابن النَّديم - وهو الورَّاق المُحترف - الحَديث عن هذه الرَّسائل بالجُملة، رغم الجَدل الذي أثَارته في عصْره، والأدلَّة التي بين أيْدينا تشير إلى أنَّه قد بَدأ بتبييض كتاب الفهرست عام 377هـ/987م، انظُر في ذلك مُقدمة أيْمَن فُؤاد سيِّد لكتاب الفِهْرست لابن النَّديم، ج1، ق1، ص35 وما بعدها. أخذًا في الاعْتبار أنَّ رواية التَّوحيدي تقْطع بشَكْل حاسِم في أنَّ تلك الرَّسَائل كانت مُتداولة في أسْواق الورَّاقين إبَّان إمَارة صِمْصام الدَّولة البويهي، ووزَارة الوزير أبي عبد الله العَارض، وتحديدًا عام 373هـ/983م، والمُبرِّر المَنْطِقي الوحيد أنَّ ابن النَّديم لم يكُن قد فرغ بشَكْل تامٍ من كتَابه الفهْرست عندما وافتهُ منيَّته، بدلِيل كثْرة البيَاض في مواضع مُتعدِّدة بالفِهْرست، ومن الواضِح أنَّه كان ينْوي العَوْدة إليها وتبْييضِها حالمَا يسْتَوفي مادَّته، كما رأينا فيما سَبق مثالًا على ذلك في ترجَمته للعَوَقِي أحد أعْضَاء جمَاعة إخْوان الصَّفا، راجع حاشية 9 أعلاه.

[19] يُسْتثنى من ذلك أحمَد أمين الذي صدَّق على رِواية التَّوحِيدي، بل كان يظنُّ أن أبَا حيَّان التَّوحيدي نفسهُ هو أحدُ أعْضاء جمَاعة إخْوان الصَّفا، ظُهْر الإسْلام، القَاهرة 1962، ج2، ص99. وفُؤاد معصُوم الذي بذل جُهدًا كبيرًا في مُحاولة إثْبات صحَّة ما جَاء عند التَّوحيدي ووفَّق في ذلك إلى حدٍّ بعيد، إخْوان الصَّفا: فَلْسَفتهم وغَايَتهم، ص ص 53-72. والمُسْتشرق مَاكدُونالد الذي أبْدى تعَاطُفًا كبيرًا مع رِواية التَّوحيدي، انظُر:- MacDonald: Ibed. كما إنَّ محمُود إسْماعِيل أيْضًا يُبدي تعاطُفًا مع رواية التَّوحيدي، لكنَّه حَاول التَّدليل على أنَّ نشَاط إخْوان الصَّفا بدأ قبْل رِواية التَّوحيدي بقَرن على الأقلّ، وأنه اسْتمرَّ بعده بما يقرُب من قَرن أيْضًا، انظر، إخْوان الصَّفا: رُوَّاد التَّنْوير في الفِكْر العَربي، المَنْصُورة 1996، ص42 وما بعْدها.

[20] ابن حَجر العَسْقلاني: لسَان المِيزان، حيْدر آباد، الدِّكن 1331هـ، ج2، ص ص63-64، وكان الشَّيخ علي يُوسُف (صَاحب جريدة المُؤيَّد) يرى ذلك الرَّأي، وقد رفضَهُ أحمَد زكي باشَا رفضًا قاطِعًا، انظُر:- أحمد زَكي باشَا: موسُوعات العلُوم العَربيَّة؛ وبحثٌ على رسَائل إخْوان الصَّفا، بولاق 1308هـ، ص93.

[21] محمُود إسْماعيل: المَرجع السابق، ص44.

3-2 القائلون بنسبة رسائل إخوان الصفا إلى متكلمي المعتزلة

بعض الباحثين قال بنسبة رسائل إخوان الصفا إلى بعْضِ مُتكلِّمِي المعْتزلة، وقد لفَت نظرهُ وصْفُ إخْوان الصَّفا لأنْفُسِهم بلقَب "أهلِ العَدْل وأبْنَاء الحَمْد"[22]، وهذا يتقَارب مع وصْفِ المعْتزلة لأنْفُسهم بأهْل التَّوحيد والعَدْل[23]، وفي الواقِع فإنَّ القِفْطي (المتوفَّ 646هـ/1248م) كان أوَّل من أشَار إلى احْتِمال أنْ تكُون هذه الرَّسَائل من تصْنِيف بعضِ مُتكلِّمي المعْتزلة. والطَّريف في الأمر أنَّ القِفْطي نصَّ صَراحةً على أنَّه تَراجَع عن رَأيِه هَذا بعْدمَا وقَف على حَديث أبي حيَّان التَّوحِيدي عن إخْوان الصَّفا في "**الإمتاع والمؤانسة**"[24]. وبعيدا عن هذا فإنَّ فحْص الرَّسَائل ومُحْتواها كفِيلٌ بإظْهَار البُعْد الشَّديد لفَلْسَفتها عن أفْكَار المعْتزلة، ومن ثمَّ لم يعُد أحَدٌ يعْتدُّ بهذا الرَّأي الآن.

3-3 القائلون بنسبة رسائل إخوان الصفا إلى صابئة حران

ومِن البَاحثِين أيْضًا من نَسب تصْنِيف تِلك الرَّسَائل برُمَّتِها إلى صَابئة حرَّان، بل وحدَّد شخْصيَّة أبي إسْحَاق الصَّابئ كمُصنِّف مُحْتمل لهَا، مُؤسِّسًا رأيَهُ على التَّشابُه بيْن أُسْلوب أبي إسْحَاق الأدَبي وبين أُسْلوب الرَّسَائل الأدَبي[25]، والواقِع أنَّ لهَذا الاعْتِقاد جذُورَه القَديمَة أيْضًا، فقد سبَق وأنْ اتَّهم ابن تيْمية صَابئة حرَّان بالذَّات بأنَّهم وَرَاء انْتشار تِلك الرَّسَائل الدَّاعِية إلى صِياغَة مبَادئ الفَلْسفة كدينٍ وعقِيدة تَحُلُّ محَلَّ الدِّين المنزَّل من السَّمَاء[26].

وفِي السِّياق نفْسه قيل أيْضًا بأنَّ أبَا الحَكم عمرُو بن عبْد الرَّحمن الكُرمَاني تلْميذ مَسْلمة المجْريطي كان قَد رحَل إلى حرَّان في طَلَب الهَنْدسة والفَلْسَفة، ومِن هُناك عَاد بتِلك الرَّسَائل إلى الأنْدلُس[27]. لكن هَذا يُعدُّ احْتمالاً بعِيدًا عن الصَّواب، فالكُرمَاني تُوفِّي عام 458هـ/1065م، والتَّوحِيدي ينصُّ على أنَّها كانَت مُتداولة في أسْواق الورَّاقين عام 373هـ/983م، وهذا الفاصل الزَّمني لا يسْمح حتى الزعم بأنَّ الكُرمَاني أول من عَاد بتلك الرسائل من المشرق إلى الأنْدلُس، إضَافةً إلى أنَّه ليْس هُناك سببٌ معْقُول يجْعلُ التَّوحيدي ينْسب رسَائل صُنِّفت بحَرَّان على أيْدي فَلاسِفتها من الصَّابئة الحرنَانيَّة إلى جمَاعة مُعاصرة بعينها عاشَت بالبَصْرة، كما أنَّ الرَّسَائل بذَاتِها تعْكِس بوضُوح الرَّغْبة في مزْج الإسْلام وحده – أي دُون غيْره من الأدْيَان – بالفَلْسَفة، وليْس مُجرَّد الدِّعَاية إلى دينٍ بذاتِه، أو تزْكية دينٍ على دِين آخر، بالإضَافة إلى أنَّ تِلك الرُّوح الشَّرقيَّة نرَاها واضِحة بأجْلى صُورها في الرَّسَائل، فتراها تُشير مرَارًا وتِكْرارًا إلى الزَّرادشْتيَّة والمانويَّة والنَّصْرانيَّة واليهُوديَّة والشِّيعَة والسُّنَّة، أي أنك لا تَرى فيها انعكاسًا ما للمجتمع الأندلسي، ولا مثيله الحَرَّاني الطَّائفي، وإنما تعْكِس تلك الرسائل صُورةً تبدُو أكْثر تنَاغُمًا مع بِيئة البَصْرة القريبة من فارس،

---

[22] جَاء في آخِر فِهرست الرَّسائل قول إخْوان الصَّفا: "هذه فِهْرست رسَائل إخْوان الصَّفا وخِلاَّن الوَفا، وأهْل العَدل، وأبْنَاء الحَمْد، رسَائل إخْوان الصَّفا، ج1، ص43.

[23] عُمر الدِّسُوقي: إخْوان الصَّفا، القاهرة 1947، ص 44؛ عادِل العَوَّا: حقِيقة إخْوان الصَّفا، دِمَشْق 1993 ص ص100-101؛ E. G. Browne: Literary history of Persia, London 1909, Vol. I, P. 292; R. A. Nicholson: Literary history of the Arabs, London 1956, P. 370.

[24] القِفْطي: إخبَار العُلماء بأخْبار الحُكَمَاء، بيرُوت د.ت، ص58.

[25] مُحمَّد عبد الحَميد الحَمْد: صَابئة حرَّان وإخْوان الصَّفا، دمشق 1998، ص ص149-150، قارن أيضاً: Yeves Marquet: Sabeenes et Ikhwan Al-Safa, Studia Islamica, Vol, 24, 1966, PP 24-29. والحمد تحديدا يتَّهم نفرًا من صَابئة حرَّان بوضع تلك الرسائل ويسْتطرد إلى القَول أنَّ أسلُوب كُتَّاب الرَّسَائل يُشْبه أُسْلوب أبي إسْحاق الصَّابئ!.

[26] ابن تيْميَة: بُغْية المُرتَاد، ص13.

[27] عقَّب صَاعِد الأندلُسي بقوله"ولا نَعْلم أحدًا أدْخلها إلى الأنْدلُس قبْله"، طَبقات الأُمَم، تحقِيق لُويس شِيخُو اليَسُوعي، بيرُوت 1912، ص71.

مُتعدِّدة المذاهب والإثنيَّات والأعْراق والطَّوائِف[28].

3-4 القائلون بنسبة رسائل إخوان الصفا إلى الشيعة الإسماعيلية

على أنَّ التَّيار الغَالِب عَلى البَاحثين هو نسْبة رسَائل إخْوَان الصَّفا إلى الشِّيعَة الإسْماعيليَّة[29]، وهو ادِّعاءٌ له أصُوله القَديمَة أيْضًا، فقد زَعمَهُ دُعاة الإسْماعيليَّة المتأخِّرُون وأبْرَزهم الدَّاعِي الإسْمَاعِيلي عمَادُ الدِّين إدْرِيس (المتوفَّى 872هـ/1467م)[30]، وهُو الاتِّجَاه الغَالب عنْد البَاحثِين اليَوم، رغْم أنَّ هذا الرَّأي لا يَصْمُد أمَام النَّقد أيْضًا، إذ إنَّ نِسْبة الرَّسَائل إلى الشِّيعة الإسْماعيليَّة جُمْلةً وتفْصِيلاً ينْطَوي على تعْمِيمٍ مُجْحِف، بل وقِراءَة مُتعسِّفَة لظَاهر نصُوص الرَّسَائل.

فَإذا كَان كُتَّاب الرَّسَائل شِيعةً على المذْهب الإسْماعِيلي فإنَّ السُّؤال – أو بالأحْرَى الأسْئلة التي تطْرحُ نفْسَها – لماذا يُكْثر إخْوان الصَّفا من الإلْغَاز والتَّبْشير بقدُوم خَلاصٍ قَريب، والذي من المُفْترض أنَّه قد أتَى بالفِعْل من وجْهَة نظر الإسْمَاعيليَّة؟!، فالقَرْن الرَّابع الهِجري/العَاشر الميلادي – وهُو زَمن تصْنِيف تِلك الرَّسَائل كمَا تقدَّم – هُو قَرن النُّفُوذ الشِّيعي بامْتِياز، فالإسْمَاعيليَّة كانُوا قد نَجَحُوا في إقَامة دوْلة في مِصْر والشَّام وهي الدَّولة الفَاطميَّة، وفي البَحْرين كَان نفُوذ القَرامِطة قد وصَل إلى أوْجِه، وكانُوا أيْضًا شِيعةً إسْماعيليَّة، وفي الجَزيرة كان أُمَراء بني حمْدان يحْكمُون باسم خُلفَاء بني العبَّاس، وكانُوا أيْضًا من الشِّيعة الإمَاميَّة، وفي العِراق كَان الحَلُّ والعَقْد بيد بنِي بُويْه – وهُم شِيعةٌ زيْديَّة – ولم يُبْقُوا للخِلافة العبَّاسيَّة سِوى سُلْطةٍ اسْميَّة!. ثم لماذا يَسْخرُ إخْوان الصَّفا من "التَّقِيَّة"[31] وهُو أُسْلوبٌ طالما مَارسَهُ أئِمَّتهم في الدَّعوة. بل نمى الاعتقاد به حتى صار أصلاً من أصُول التشيع؟!!. ثم لماذا يُهاجِم إخْوان الصَّفا أفْكَار المسبِّعة أو المعْتقدين في قُدسية الرَّقم سَبْعَة، ويُسفِّهُون عقَائِدهُم، ويصِفُون تفْكِيرهُم بأنَّه جُزْئي غَيْر كُلِّي، وأنَّهُم ما أصَابُوا كَبِد الحقِيقَة؟![32]، عِلْمًا بأنَّ لهَذا الرَّقم بالذَّات مكَانةٌ خاصَّة في عقَائد الإسْماعيليَّة الدِّينيَّة كما هو معلُوم.

كَذلك فالنظر بعين التمحيص للرسائل يجعلك تقطع بأن إخْوان الصَّفا لا يَكْترثُون لقَضيَّة الإمَامَة بُرمَّتِها، وهِي ليْست لُبّ دَعْوى الإسْماعيليَّة فحَسْب؛ بَل هي لُبُّ دعْوة الشِّيعة بوجْهٍ عَام. فعِند إخْوان الصَّفا أنَّ سُنَّة واضِع الشَّريعَة نفْسهُ تكْفِي لهِدايَة أتْباعِه، وليْس ثمَّ حَاجةٌ إلى إمَام، فإخْوان الصَّفا أنفُسهم ينُصُّون على هَذا بقَولِهم:

"واعْلم أنَّ العُقلاء الأخْيَار إذَا انْضَاف إلى عقُولِهم القُوَّة بِواضِع الشَّريعَة، **فليْسُوا يحْتاجُون إلَى رِئيسٍ يَرْأَسُهُم، ويَأْمُرهُم ويَزْجُرهُم، ويَحْكُم عليْهِم؛ لأنَّ العَقْل والقُدْوة لواضِع**

---

[28] محمُود إسْماعيل: إخْوان الصَّفا، ص45.

[29] عارف تَامر: حقِيقة إخْوان الصَّفا وخِلان الوَفا، بيرُوت 1947، ص21؛ وانظُر أيضًا مقدِّمته لرسَالة جَامعة الجَامعة من رسَائل إخْوان الصَّفا، بيروت د.ت، ص ص5-61؛ كامِل مُصطفى الشِّيبي: الفِكْر الشِّيعي والنَّزعات الصُّوفيَّة، بغْداد 1966، ص93؛ جبُّور عبْد النُّور: إخْوان الصَّفا، القاهرة 1971، ص23، مُصْطفى غَالب: في رحَاب إخْوان الصَّفا، بيرُوت1969، ص425، وتجدُ مُناقشَة مُسْتفيضة لآرَاء جمهُور البَاحثين حول هويَّة إخْوان الصَّفا في:- فؤاد معصُوم: إخْوان الصَّفا؛ فَلسفتهم وغَايتهم، ص45 وما بعدها؛ قارن أيضًا:- مَحمُود إسْماعِيل: إخْوان الصَّفا، ص 53 وما بعْدها؛ V. A. Ivanov: The alleged founder of Ismailism, Bombay 1946, P. 146.

[30] عيُون الأخْبار وفنُون الآثَار، تحقيق مُصْطفى غَالِب، بيرُوت 1984، ج4، ص367.

[31] رسَائِل إخْوَانِ الصَّفا، ج3، ص72.

[32] المصدر نفسهُ، ج1، ص217.

النَّامُوس يقُومَان مقَام الرَّئيس"[33].

بَل إنَّ تنْظِيمهم الذي قَدَّمُوا مُخطَّطًا لهُم لمِن بِيَده الأمْر والعَقْد بالجَماعَة يشِي بأنَّهم كانُوا يرَوْن عدَم جَواز انْفراد رجُل واحِد بالحُكم في الجَماعَة، ففِي تنْظِيمهم الذي اقْترحُوه هُناك تدرَّج للسُّلْطة يتكوَّن من **الإخْوان الفُضَلاء الكِرام** بحَسب تعْبِيرهم، وهُم القَادة والملوك ذَوُو السُّلطان، وأُولُو الأمْر والنَّهْي والتَّصرُّف، يعلُوهُم ويُشْرف عَليْهم **الإخْوانُ الفُضَلاء الكَاملُون**، وهُم طَبقة المقرَّبين إلى الله، والذين تجَاوزُوا الخَمْسين[34]، أيْ أشْبَه بوصَاية مجْلِس للحُكَماء يُشْرف على من بيَده السُّلطة، ومن ثمَّ يُمْكن القَوْل أنَّ إخْوان الصَّفا لم يكترثوا أسَاسًا لقضيَّة الإمَامة، ولا ينْتظرُون أوْ يُشَرِّعُون بقُرب ظهُور إمَام مُنْتظَر، ولا يَرَوْن وجهًا لحُكْم الفَرد المطْلق بدَعْوى الإمَامة، ولا وجْهًا يُبرِّر ذلك النِّزاع حوْل تِلك القضيَّة ومَا ترتَّب عليْهَا من تَبِعات سياسية وعقدية. وهذِه نتَيجَة جدُّ خَطِيرة بالفعل. إذ يترتَّب على القَوْل بهَا نفْي المذهب الشِّيعي عن كَتبة تِلْك الرَّسَائل جُمْلة وتفْصِيلاً. وعلى ذلك لا شَكَّ أنَّ القَوْل بالأصْل الإسْمَاعِيلي لكَتبة رسَائل إخْوان الصَّفا ينْطَوي على مخاطرة علمية كبيرة، كما أنها في التحليل الأخير يسْتحِيل للقائل بها الجزم بالهَوِيَّة الإسْماعِيليَّة لمصنِّفي تِلك الرَّسَائل.

4- خلاصة ومراجعات

وعودٌ على بدء فمن الملاحَظ أنَّ هؤلاء الرَّافضِين لرِواية التَّوحِيدي لا يُجِيبُون بدفُوع مُقْنِعة عن أسْبَاب ردِّهم لروايته، مع أنَّ حَديث التَّوحيدي عن أنَّ مُؤلِّفيها – أعني مصنفي الرسائل – كان غَرضُهم الرَّئيسي ربْط الشَّرائع على إجْمَالها وتنَوُّعِها بالفَلْسفة يبدُو أقْرَب إلى المنْطق من القَول بنِسْبة الرَّسَائل لفَريق دِيني أو مَذْهبي بعيْنه، فقَارِئ تِلك الرَّسَائل سَيتشْعِر على الفَور أنْ كَتبة الرَّسَائل لا تجْمعُهم وحْدة مَذهبيَّة مَا، وخطَأ البَاحثِين المتكرِّر يكْمُن في افْتِراض وهْمِي مفَاده أنَّ كَتبة تِلك الرَّسَائل على اخْتلافِهم كانُوا يعْتنقُون دينًا أو مذْهَبًا بعيْنِه، وهذا الافْتراض المضلِّل قاد بدوره إلى نتَائج مُضلِّلة.

رغْم أنَّه من الجَليِّ أنَّ جُلَّ هَدف إخْوان الصَّفا كان هُو التَّوفيق بين الأدْيَان برُمَّتها وبين مقَاصِد الفَلْسفة والحِكْمة تمَامًا كما قال التَّوحِيدي، أي هي في نِهايَة الأمْر مُحاولة تلفِيقيَّة للمُزاوجَة بين الإيْمَان بظَهْر الغَيْب وبيْن العَقل واكتساب المعرفة عن طريق المنطق والفلسفة، ولو تأمَّلنا ما ورد على لسَان إخْوان الصَّفا أنفُسِهم في هذا الصَّدد فإنَّنا سنَخْرُج بنتيجَةٍ واحِدة، وهي أنَّ إخْوان الصَّفا لم ينْتصرُوا لمذْهبٍ على مَذْهب، بل قالُوا صَراحةً بأنَّهُم لا يتَعصَّبُون لمذْهب من المذاهِب، لأنَّ رأيَهُم ومذْهبهُم يسْتغرِقُ المذاهِب كُلَّها على حدِّ قولِهم[35].

كانَ هذا هو رأْيُ أبي سُليمَان المنْطقي السِّجِسْتاني أُسْتاذ التَّوحيدي، والذي عَكف على تلك الرسائل بالدَّرْس ثم خَلُص إلى أنَّ مُصنِّفي تلك الرسَائل حاولُوا الجَمْع بين الدِّين والفَلْسفة، وهُما في رأيِه ضِدَّان لا يَجْتمعَان، لذا فقَد رَأى أنَّ كَتبةَ تِلك الرَّسَائل تعبُوا فمَا أغْنُوا، وغَنُّوا فمَا

---

[33] نفسهُ، ج4، ص137.

[34] نفسهُ، ج4، ص57.

[35] نفسهُ، ج 4، ص ص 41 - 42.

أطْرُبُوا[36].

وعليه يخلص الباحث إلى ما يلي:

- جَمَاعة إخْوان الصَّفا تَأسَّست فِعْليًّا في بدَايَات النِّصف الثَّاني من القَرن الرَّابع الهِجْري/العَاشِر الميلادي، واسْتَغْرق تَأليفُ الرَّسَائل عدَّة سَنوات، وبَدأت بالتَّدفُّق على أسْواق الوَرَّاقِين قُبيْل الرُّبع الأخِير من القَرن نفْسِه.
- بالدِّراسة النَّقديَّة لبنية تِلك الرَّسَائل فإنها تكَاد تُثْبت أنَّ هذه الرَّسَائل برُمَّتها هي نتَاجُ عمَل فَريق كامل وليْس فردًا واحدًا، وعَلى ذلك يميل الباحثُ إلى سَذاجَة الاعْتقَاد بأنَّ تلك الرَّسائل من تأْليف فردٍ واحدٍ.
- فحْص محتوى الرَّسَائل كفِيلٌ بإظْهَار البُعْد الشَّديد لفَلْسَفتها عن أفْكَار المعْتزلة واتجاهاتهم وقول البعض بنِسْبتها إلى مُتكلِّمِي المعْتزلة اعتمادًا على مقاربة إطلاق إخوان الصفا على أنفسهم لقب "أهلِ العَدْل وأبْنَاء الحَمْد" وتسمية المعتزلة لأنْفُسهم بأهْل التَّوحيد والعَدْل قول لا يعتد به، ومحاولة إيجاد صِلة بين الفريقين أمر لا يخلو من الاصْطِناع.
- الدفعُ نفسه ينطبق على نسبة تِلك الرَّسَائل برُمَّتِها إلى صَابئة حرَّان، إذ إنَّ الغالب على الرَّسَائل أنها تعْكِس بوضُوح الرَّغْبة في مزْج الإسْلام وحده – أي دُون غيْره من الأدْيَان – بالفَلْسَفة، وليْس مُجرَّد الدِّعَاية إلى دينٍ بذاتِه، أو تزْكية دينٍ على دِين آخر، بالإضَافة إلى وضوح تِلك الرُّوح الشَّرقيَّة التي لا تَرى فيها انعكاسًا للمُجْتمع الحراني. أما عن تحديد شخْص أبي إسْحَاق الصَّابئ (المتوفى 384هـ/994م) كمُصنِّفٍ مُحْتملٍ لهَا فتراجع النتيجة الثانية من نتائج هذه الورقة.
- أما نسْبة رسَائل إخْوَان الصَّفا إلى الشِّيعَة الإسْماعيليَّة وهو رأي عامة الباحثين، **فهو مردود للأسباب التالية:**
  - نبوءة إخْوان الصَّفا بقدُوم خَلاصٍ قَريب، والذي من المُفْترض أنَّه قد أتَى بالفِعْل إذا سلمنا أن كتاب تلك الرسائل من الطائفة الإسماعيلية. إذ إن القَرْن الرابع الهجري كان يمثل بامتياز العصر الذهبي للتشيع.
  - سخرية إخْوان الصَّفا من "التَّقِيَّة" وهو مبدأ يحتل مكانة مرموقة على الصعيد الاعتقادي عند الشيعة الإسماعيلية.
  - سُخرية إخْوان الصَّفا من أفْكَار المسبِّعة وتسفيه عقائدهم، وهذا يكاد أن يكون محض هجُوم مباشر على الشيعة الإسماعيلية وصابئة حران معًا دون غيرهم.
  - إخْوان الصَّفا لا يَكْترثُون لقَضيَّة الإمَامَة برُمَّتِها، وهي ليست لب دعوى الإسماعيلية فحسب، وإنما هي لب دعوى الشيعة بوجه عام! بل إننا نجد أن إخوان الصفا قدموا تصورًا مباينًا ليوتوبيا خاصة بهم لا تقوم على حكم الفرد المطلق بدعوى الإمامة، وإنما تقوم على حكم مُؤسسة هيراركية مركبة من طبقتين، لا تكترث لحكم الفرد بدعوى الإمامة حتى

[36] الإمْتاعُ والمُؤانَسة؛ وانظُر أيْضًا نقْد فؤاد معصُوم القَوي الذي وجَّهه للقَائلين بالهَوِيَّة الإسْماعيليَّة لإخْوان الصَّفا، لا سيَّما البَاحث الإسْماعِيلي عَارِف تَامِر، انظُر:- إخْوان الصَّفا، فلْسَفتهم وغَايتُهم، ص46 وما بعدها.

وإن كان مؤيدًا من قبل السماء.

- بعد بحث الفرضيات السابقة عاد الباحث إلى رواية أبي حيان التوحيدي حول هوية كتاب رسائل إخوان الصفا المثيرة للجدل، ولم يجد دفعًا منطقيًّا يُعوَّلُ عليه لرد تلك الرواية أو رفضها. وعليه فإن الباحث يميل إلى التصديق على ما ذكره أبو حيان التوحيدي حول هوية كتاب تلك الرسائل وأغراضهم من كتابتها ونشرها بين عموم الناس في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

المصَادر والمراجع

أولا:– المصادر العربية

ابنُ تَيْميَّة (تَقِيُّ الدِّين أحمَد بنُ عبْد الحَلِيم الحرَّاني) المتوفَّى 728هـ/1327م.

«بُغية المرتَاد في الرَّد على المتفَلْسِفَة والقَرامِطَة والبَاطنيَّة» القَاهرة د.ت.

ابن حَجَر العَسْقَلاني (شِهَاب الدِّين أحمَد بن عَلي بن مُحَمَّد بن عَلي) المتوفَّى 852هـ/1448م.

«لسَانُ الميزَان» حَيْدر آبَاد، الدِّكن 1331هـ.

أبُو حيَّان التَّوحِيدي (عَلي بن مُحَمَّد بن العبَّاس) المتوفَّى 416هـ/1025م.

«الإمْتَاع والمؤانَسَة» تحقِيق أحمَد أمِين؛ أحمَد الزَّين، بيروت د.ت.

«المقَابسَات» باعْتِناء حَسَن السَّنْدُوبي، الكُويْت 1992.

إخْوَانُ الصَّفَا وخِلاَّن الوَفَا (أخَويَّة سِريَّة يُعْتقَدُ أنَهُم عَاشُوا في النِّصْف الثَّاني من القَرن الرَّابع الهِجْري/ العَاشِر الميلادِي)

«رسَائل إخْوان الصَّفَا» إعَادة نَشْر بالأُوفْسِت لنَشْرة دائِرة المعَارف العُثْمانيَّة بحيْدَر آبَاد الدِّكن، منْشُورات الهيئة العامَّة لقُصُور الثَّقافَة، القَاهِرة 1996.

الرِّسَالة المسمَّاة «جَامعة الجَامعة» المنْسُوبة لإخْوان الصَّفا، تحقِيق عَارِف تَامِر، بيرُوت د.ت.

البَيْهَقِي (ظَهِيرُ الدِّين أبي الحَسَن عَليّ بن زَيْد) المتوفَّى 565هـ/1169م.

«تتمَّة صِوَانُ الحِكْمَة» لاهُور 1351هـ.

الخَطِيب البَغْدادي (أبُو بَكْر أحمَد بن عَليّ بن ثَابِت) المتوفَّى 463هـ/1070م.

«تَاريخُ بغْدَاد» تحقِيق بشَّار عوَّاد مَعْرُوف، بيرُوت 2001.

الشَّهرسْتَاني (أبو الفَتح مُحَمَّد بن عبد الكَريم بن أحمَد) المتوفَّى 548هـ/1153م.

«المِلَل والنِّحَل» تحقِيق مُحَمَّد سيِّد كِيلاني، بيرُوت 1982.

صَاعِد الأنْدلُسِي (أبُو القَاسم صَاعد بن أحمَد التَّغْلِبي) المتوفَّى 462هـ/1069م.

«طَبَقَات الأُمَم» تحقِيق لُويس شِيخُو اليَسُوعي، بيرُوت 1912.

عبْد الله بن المقفَّع (عبْد الله بن المقَفَّع بن المبَارَك البَغْدَادي) المقْتُول 142هـ/759م.

«كَليلة ودِمْنة» المنْسُوب للفيْلسُوف الهِنْدي بيْدبَا، نقْلهُ إلى العَربيَّة عبْد الله بن المقفَّع، بُولاَق 1937.

عِمَادُ الدِّين إدْرِيس (عِمَاد الدِّين إدْرِيس بن الحَسَن بن عبْد الله بن عَلي بن مُحَمَّد بن حَاتم القُرَشِي الدَّاعِي الإسْمَاعِيلي) المتوفَّى

872هـ/1467.

«عيُون الأخْبار وفنُون الآثَار» تحقيق مُصْطفى غَالِب، بيرُوت 1984.

القِفْطِي (جمَالُ الدِّين أبي الحَسَن عَلي بن يُوسُف بن إبراهِيم) المتوفَّ 646هـ/1248م.

«إخبَار العُلماء بأخْبار الحُكَمَاء» بيرُوت د.ت.

النَّدِيم (أبُو الفَرج محُمَّد بن إسْحَاق بن محُمَّد) المتوفَّ 383هـ/993م.

«الفِهْرِسْت» حقَّقَه وقابَله على أُصُوله أيمَن فُؤاد سيِّد، لنْدَن 2009.

ياقُوت الحَمَوي (أبو عبْد الله يَاقُوت بن عبْد الله الرُومي الحَمَوي) المتوفَّ 626هـ/1228م.

«إرْشَادُ الأَرِيبِ إلى مَعْرفة الأَدِيب المعرُوف بمُعْجَم الأُدَباء» تحقِيق إحْسَان عبَّاس، بيروت 1993.

«مُعْجَم البِلْدَان» تحقيق فَريد عبد العَزيز الجِنْدي، بيرُوت 1990.

المراجع والدراسات الحديثة

أحمَد أمِين: «ظُهْر الإسْلام» القَاهرة 1962.

أحمد زَكي بَاشَا «موسُوعات العلُوم العَربيَّة؛ وبحثٌ على رسَائل إخْوان الصَّفا» بُولاق 1308هـ.

جبُّور عبْد النُّور «إخْوان الصَّفا» القاهرة 1971.

دي بُور «إخْوان الصَّفا» مقَال بدائِرة المعارف الإسْلاميَّة، تَرجمَة إبْرَاهِيم زَكي خُورشِيد وآخَرين، الطَّبعَة الثَّانية، القَاهِرة 1969.

عَادِل العَوَّا «حَقيقةُ إخْوان الصَّفَا» دِمَشْق 1993.

عارف تَامر «حقِيقة إخْوان الصَّفا وخِلان الوَفا» بيرُوت 1947.

عُمر الدِّسُوقي «إخْوان الصَّفا» القاهرة 1947.

فُؤاد مَعْصُوم «إخْوان الصَّفا؛ فَلْسَفتُهم وغَايَتُهم» دِمشْق 1998.

كامِل مُصطفى الشَّيبي «الفِكْر الشِّيعي والنَّزعات الصُّوفيَّة» بغْداد 1966.

مُحَمَّد عبد الحَميد الحَمْد «صَابئة حرَّان وإخْوان الصَّفا» دمشق 1998.

محمُود إسْماعِيل«إخْوان الصَّفا؛ رُوَّاد التَّنْوير في الفِكْر العَربي» المَنْصُورة 1996.

مُصْطفى غَالب «في رحَاب إخْوان الصَّفا» بيرُوت1969.

المراجع الأجنبية

Browne E. G., Literary history of Persia, London 1909.

Godefroid de Callatay: Ikhwan al-Safa': A Brotherhood of Idealists on the Fringe of Orthodox Islam, London 2012.

Ian Richard Netton: Muslim Neoplatonists: An Introduction to the Thought of the Brethren of Purity, New York 2002.

Ignaz goldziher: Üper die Benennung der İchwan Al-Safa, Der Islam 1910.

Ivanov V. A., The alleged founder of Ismailism, Bombay 1946.

MacDonald: development of Moslim theology, New York 1926.

Louıs Massıgnon: Sur la date de la "Rasa'el Ikwan Al-Safa", Der Islam, Vol. 4, 1913.

Mohammed Sharif Khan; M Anwar Saleem: Muslim Philosophy and Philosophers, New Delhi 1994

Nicholson R. A., Literary history of the Arabs, London 1956.

Yeves Marquet: Sabeenes et Ikhwan Al-Safa, Studia Islamica, Vol, 24, 1966.